خطبة الجمعة في هدم الأصنام

الحمد لله ربّ العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وليّ الصالحين، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله –صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين –، أما بعد:

١ . فإن الشريعة تحرّم كلّ وسيلة توصل إلى الحرام، وهو ما يسمى عند أهل العلم بسد الذرائع، وقد ذكر العلامة ابن القيم في "إعلام الموقعين" أن سد الذرائع هي ربع الشريعة، فالشريعة تسدّ الذرائع أي: الطرق الموصلة إلى الحرام، وإذا كان ذلك في الحرام الذي هو دون الشرك، فالطرق الموصلة إلى الشرك من باب أولى.

٢ . والوسائل الموصلة إلى الشرك كثيرة، ومن الوسائل الموصلة إلى الشرك وجود الأصنام حتى ولو كانت لا تعبد ابتداءً.

وما يدل على أن الأصنام وسيلة إلى الشرك ما رواه البخاري في "صحيحه" [١]عن ابن عباس –رضي الله عنهما –قال: "ودّ، وسواع، ويغوث، ويعوق، ونسر أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن أنصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون أنصابًا، وسموها بأسمائهم ففعلوا فلم تعبد، حتى إذا هلك أولئك وذهب العلم عبدت".

قال شيخ الإسلام ابن تيمية كما في "مجموع الفتاوى": "وقد استفاض عن ابن عباس وغيره في "صحيح البخاري" وفي كتب التفسير، وقصص الأنبياء في قوله: "وقالوا لا تذرنّ ودًا، ولا سواعًا، ولا يغوث، ويعوق، ونسرًا". أن هؤلاء كانوا قومًا صالحين في قوم نوح، فلما ماتوا عكفوا على قبورهم، ثم صوّروا تماثيلهم فعبدوهم، قال ابن عباس: "ثم صارت هؤلاء الأوثان في قبائل العرب" ا.هـ [٢]

ومما يدل على أن الأصنام وسيلة إلى الشرك أن الشرك حصل في مكة بعد إبراهيم –صلى الله عليه وسلم –لما جاء عمرو بن لحيّ بالأصنام، ووزعها بين القبائل.

٣ . فوجود الأصنام في المجتمعات يشكل خطورة عظيمة على عقائد الناس، ولذلك دلّت الأدلة من الكتاب والسنة على وجوب هدمها.

أ . فمن الأدلة على هدم الأصنام قصة إبراهيم مع قومه، وكيف أن إبراهيم –صلى الله عليه وسلم –هدم الأصنام بنفسه، قال تعالى عن إبراهيم أنه قال: "وتالله لأكيدن أصنامكم بعد أن تولوا مدبرين * فجعلهم جذاذًا إلا كبيرًا لهم لعلهم إليه يرجعون".

---

[١] "صحيح البخاري" (٤٩٢٠).

[٢] "مجموع الفتاوى" (١٦٧/١).

أقسم إبراهيم على هدم أصنامهم فقال: "وتالله لأكيدن أصنامكم بعد أن تولوا مدبرين". "فجعلهم جذاذًا". أي: بعد ذهابهم إلى اجتماعهم في يوم العيد هدم الأصنام بالفأس، والجذاذ" بضم الجيم وكسرها هو الفتات.[1]

ب . ومنها قصة موسى مع عجل السامري، قال تعالى عن موسى أنه قال للسامريّ: "وانظر إلى إلهك الذي ظلت عليه عاكفًا لنحرّقنه، ثم لننسفنه في اليم نسفًا".

وخلاصة كلام المفسرين في الآية أن معنى الآية: "وانظر إلى إلهك" أي: معبودك التي تعبده من دون الله، وهذا هو الأصل أن الإله يأتي بمعنى المعبود، وإن أريد بالإله الربّ فالمقصود الربّ الذي تزعمه، "الذي ظلت عليه عاكفًا" أي ظلت ودمت عليه مقيمًا تعبده، والعرب تقول: ظلت أفعل كذا بمعنى ظللت. وقوله: "لنحرقنه" بالنار، وقرأ بعضهم بالتخفيف من الإحراق، وقد روي أن العجل صار دمًا ولحمًا، فأخذ موسى العجل فذبحه فسال منه دم ثم حرقه بالنار، ثم ذراه ونثر رماده في البحر، ولذلك قال: "ثم لننسفنه في اليم نسفاً".

ج . ومنها هدمه –صلى الله عليه وسلم –للأصنام بنفسه، وأوامره لأصحابه بهدم الأصنام.

ولما دخل النبي –صلى الله عليه وسلم –مكة عام الفتح كان حول الكعبة ثلاثمائة وستون صنمًا، فجعل –صلى الله عليه وسلم يطعنها بعود في يده، ويقول: "جاء الحق وزهق الباطل وما يبدئ الباطل وما يعيد" ثم أمر بالأصنام فأخرجت من البيت. ولما دخل الكعبة وجد في الكعبة صورة إسماعيل وإبراهيم في أيديهما الأزلام، أي: أنهما يستقسمان بالأزلام، فقال –صلى الله عليه وسلم –: "قاتلهم الله، لقد علموا أنهما ما استقسما بالأزلام قط"، ثم محا الصور التي كانت بالكعبة.

وفي اليوم الخامس من مقامه –صلى الله عليه وسلم –بمكة أرسل خالد بن الوليد مع بعض الفرسان إلى هيكل العزى –وهي أكبر صنم لقريش –وكان هيكلها ببطن نخلة –فتوجه إليها خالد وهدمها وهو يقول:

يا عزُ كفرانَك لا غفرانك إني رأيت الله قد أهانك

فهدمها خالد وقطع الأشجار، ثم رجع خالدٌ إلى النبي –صلى الله عليه وسلم –فأخبره، قال: "لم تفعل شيئًا"، فرجع خالد –رضي الله عنه –إليها مرة ثانية فوجد عندها السدنة، فلما رأوه هربوا إلى الجبال، فجاء فإذا بامرأة عريانة ناشرةً شعرها، فعلاها بالسيف وقتلها، ثم رجع إلى النبي –صلى الله عليه وسلم –وأخبره، قال: "تلك العزى".

---

[1] لقد هدم إبراهيم الأصنام لأن الواجب هدمُها، وكذلك ليلزم أصحابها فقط بأنها أصنام عاجزه لا تقدر على شيء.

وأرسل –صلى الله عليه وسلم –عمرو بن العاص لهدم سواع –وهو أعظم صنم لهذيل –وهيكله على ثلاثة أميال من مكة، فذهب إليه وهدمه.

وبعث –صلى الله عليه وسلم –سعد بن زيد الأشهلي مع بعض الفرسان لهدم مناة –وهي صنم لكلب وخزاعة –وهيكلها بالمشلّل، وهو جبل على ساحل البحر، فتوجهوا إليها وهدموها.

وبعد عام من فتح مكة بلغ رسولَ الله إسلامُ ثقيف، وكان ذلك في السنة التاسعة، حينها أرسل النبيّ –صلى الله عليه وسلم –أبا سفيان، والمغيرة بن شعبة الثقفي، لهدم اللات: صنم ثقيف بالطائف، فتوجهوا وهدموها حتى سووه بالأرض.

وبهذا الشيء سقطت عبادة الأوثان في أم القرى وما حولها من القرى، واستمرّ النبيّ –صلى الله عليه وسلم –هو وأصحابه –رضي الله عنهم –يهدمون الأصنام، ويمحون كل آثار الشرك.

٤ . أوصى –صلى الله عليه وسلم –أصحابه بهدم الأصنام لأنه وسيلة إلى الشرك، فروى مسلم في "صحيحه" عن علي بن أبي طالب أنه قال لأبي الهياج الأسدي: "ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله –صلى الله عليه وسلم –؟ قال بلى". قال: "لا تدع تمثالًا إلا طمسته، ولا قبرًا مشرفًا إلا سويّته".

ألا وإن هدم الأوثان، وهدم القبور المشرفة إنما يكون لولاة أمور المسلمين، لأن النبيّ –صلى الله عليه وسلم – لم يفعل ذلك في مكة، وفعله في المدينة لما ولي أمر المسلمين.

قال الشيخ صالح الفوزان في "إعانة المستفيد": "ففي هذا (أي: الحديث المذكور): الأمر بهدم القباب التي على القبور، والأمر بهدم الأضرحة، وأن هذا من مهمة ولاة الأمور، ومن مهمة كل مسلم أن يعمل على إزالة هذا الشيء، فإن كان له سلطة وقدرة، فيزيله باليد، وإن كان ليس له سلطة، فإنه يتّصل بولاة الأمور، ويبلغ ويبيّن أن هذا أمر يلزمهم إزالته، لأن الرسول –صلى الله عليه وسلم –أمر بإزالته، ويحذّر المسلمين من البناء على القبور، ويبيّن لهم السنة في دفن الموتى، وما يلزم اتخاذه وعمله نحو القبور مما هو مشروع" ا.هـ[1]

فإن قيل إن إبراهيم لم يكن ولي أمر المسلمين لما هدم الأصنام، قيل إن شرع غيرنا شرعٌ لنا ما لم يأت شرعنا بخلافه.

٥ . أيها المسلمون: لقد هدم النبيّ –صلى الله عليه وسلم –جميع الأصنام والأوثان، وفي ذلك الإشارة إلى طيّ صفحة الجاهلية، والدخول في عهد جديد مبني على التوحيد. ولقد سار الأئمة على تلك الطريقة النبوية، فطهروا المجتمعات من آثار الشرك، فهدموا الأوثان، وقطعوا الأشجار،

---

[1] "إعانة المستفيد" (٢/٢٦٨).

وأزالوا الأحجار، حتى انقطعت مظاهر الشرك وآثاره، ومن ذلك ما فعله الشيخ المجدد الإمام محمد بن عبد الوهاب –رحمه الله –حيث قام هو وأتباعه –رحمهم الله –بتطهير الجزيرة من معالم الشرك والوثنية، فعاشت الجزيرة بعده عقودًا من السنين تنعم بنعمة التوحيد، خالية من مظاهر الوثنية، بعد أن عاشت مظلمة بمظاهر الوثنية، فيا رب لك الحمد.

٦ . إن كثيرًا من المجتمعات الإسلام تساهلت كثيرًا في موضوع الأصنام:

أ . فبعض المجتمعات تنظر إلى الأصنام على أنها تاريخ مشرق، يدلّ على الحضارة. وفي بداية الألفية الثالثة –لما أرادت بعض الجهات في بعض الدول هدم أعظم صنم لبوذا –ضجّت وسائل الإعلام بهذا الحدث الكبير، فنددوا، وشجبوا، وأنكروا، لقد أنكروا هدم وثن مبني من طين أو أحجار، بينما كانوا ساكتين على عشرات المجازر التي كانت تقام في المشارق والمغارب في حقّ المسلمين وغيرهم.

ب . ومن ذلك صناعة التماثيل على أنها نوع من التكريم لبعض الناس ممن يراهم بعض الناس من العظماء، سواء كانوا عظماء في الأدب، أو السياسة، أو الرياضة، أو نحوها من المجالات. فهذا أيضًا من الأسباب الموصلة إلى الشرك.

ج . وأسوأ من ذلك أن تفتح الأبواب لهذه الأصنام فتستقدم الأصنام من بلاد أخرى، أو تصنع في البلد نفسها ثم تقام لها المعابد الشركية، كدليل على التسامح والتعددية، وقبول التعايش مع الأديان، إنه والله لأمر خطير، ومصيبة عظيمة.

نسأل الله أن يحفظ علينا ديننا وأن يتوفانا مسلمين.

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله ولي الصالحين، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله –صلى الله عليه وسلم –، أما بعد:

٧ . فالخلاصة –أيها المسلمون –فيما تقدم:

أ . لا تجوز صناعة الأصنام، ولاسيّما إذا كانت أصنامًا مقصودة للعبادة، صنعت لغرض أن تعبد من دون الله تعالى، لأن في ذلك فتنة عظيمة للناس، وقد أخبر –صلى الله عليه وسلم –أن بعض الناس سيرجع إلى عبادة الأوثان، والسبب في ذلك ضعف العلم في آخر الزمان، وضعف الإنكار، ووجود وسائل كثيرة للشرك.

ب . أن الواجب هدم الأصنام لأمور:

أحدها: –أن ذلك هي طريقة الأنبياء، فقد فعلها إبراهيم فهدم أصنام قومه، وفعلها موسى فهدم العجل وحرّقه، وفعلها نبينا وأمر بذلك وأوصى به –صلوات الله وسلامه عليهم جميعًا –.

الثاني: –أن الأصنام وسيلة إلى الشرك، وفي هدم الأصنام انحسار للشرك، وهدم لمعالمه.

الثالث: –أن في هدم الأصنام إهانةً عظيمةً لها لأن هدمها يكشف عن عجزها وذلها.

ج . ينبغي أن يُعرف أنه لا يهدم الأصنام إلا ولاة الأمور فهم المسئولون عن البلد، فإذا لم يهدمها ولاة الأمور فلا ينبغي لعامة الناس أن يقوموا بهدمها لما يترتب على ذلك من المفاسد العظيمة.

د . يستثنى من هدم الأصنام تلك الأصنام التي في معابد أهل الكتاب، وقد مرّ الصحابة في فتوحاتهم بمعابدَ لليهود، وكنائسَ كثيرة للنصارى، ولم يكونوا يفتشون عن الأصنام التي فيها مع أنهم كانوا قادرين عليها.

هـ . ثم ليعلم المسلمون أنه إذا كان وجود معالم الشرك والوثنية في أي مكان حرامًا، فإن وجود أي معلم من معالم الشرك في الجزيرة العربية أشدّ حرمة، وأعظم نهيًا، لأنها بيضة المسلمين، وعقر دار الإسلام، ولقوله –صلى الله عليه وسلم –: "لا يجتمع دينان في جزيرة العرب".

أقول ما تسمعون وأستغفر الله العظيم لي ولكم